القِيادةُ وعصرُ الحِكْمةِ
- ما يَهُمُّكَ في القيادةِ -

د. علاءُ الدِّينِ العظَمة
دُكتوراه في التخطيطِ الاستراتيجيِّ

يُوجدُ في حياتِنا اليوميةِ العديدُ من القيادات؛ في المنْزلِ، في الشركةِ، في المُنظَّمةِ؛ فالقيادةُ موزَّعةٌ بينَ الأفرادِ، وهي ليستْ حِكراً على الفردِ الذي يتربَّعُ على القِمَّةِ في المنظَّمةِ أو الشركةِ، ولكنّها كامنةٌ في أيِّ فردٍ وعلى أيّ مستوىً.

ولعلَّ المَهمَّةَ الأساسَ للقادةِ هي شحنُ الأحاسيسِ الطَّيِّبةِ في نفوسِ أولئكَ الذين يَقودونَهم؛ وذلكَ عندما يُوجِدُ القائدُ شكلاً من أشكالِ الرَّنينِ، ويُحقِّقُ الانسجامَ والتناغمَ اللذان هما عبارةٌ عن مَخزونٍ من الإيجابيةِ يؤدِّي إلى تحريرِ كُلِّ ما هو خيرٌ في الناسِ الذين يقودُهم. وبالتالي فإنَّ جذورَ وظيفةِ القيادةِ هي في أساسِها عاطفيةٌ إنسانيةٌ.

تُرى ما السِّرُّ في أهميةِ تطويرِ قُدراتكَ القياديةِ لتحقيقِ النجاحِ؟ وما الصفةُ القياديةِ الأكثرُ أهميةً لكَ؟ إنّ نجاحَنا وقيادتَنا مرتبطانِ معاً؛ فإذا كنتَ بحاجةٍ لاكتسابِ تقديرِ أطفالِكَ، أو شريكِ حياتكَ أو أقرانكَ، أو كان لدَيكَ عملٌ يقتضي تسييرُه، أو كنتَ ممَّنْ يُقدِّرُهم ويَتَّبعُهم الآخرونَ فلابُدَّ من تحقيقِ أهدافكَ.

إنّ القيادةَ لا تتعلَّقُ مُطلقًا بالمسمَّى الوظيفيِّ أو بحجمِ المسؤوليةِ التي قد يضعُها البعضُ على عاتقِكَ. لعلَّكَ قابلتَ في حياتكَ العديدَ من الأشخاصِ ممَّنْ حملَوا المسؤوليةَ، فإذا هُم يُخفقونَ في دفعِ أو قيادةِ أيِّ شخصٍ، فكانتِ الطريقةُ الوحيدةُ لدفْعِ الآخرينَ على اتّباعِهم هي الصراخَ أو إعلاءَ الصوتِ أو استخدمَ القوَّةِ أحياناً.

و لربَّما قابلتَ آخرينَ ليس لديهم (فعلياً) أدنى مسؤوليةٍ رسْميَّةٍ؛ ولكن لديهم نفوذٌ كبيرٌ بالنسبةِ لأقرانِهم، ويُنظَرُ إليهم على أنَّهم الأملُ أو الحلُّ عندما تُوجَدُ مشكلةٌ.

ليس ثَمَّةً رابطٌ بين القيادةِ والمسمَّى الوظيفيِّ؛ لكنَّ علاقتَها وثيقةٌ بحجمِ النفوذِ الطبيعيِّ الذي لكَ على

الآخرينَ. ويُمكِنُ أن تعملَ القيادةُ على العديدِ من المسؤولياتِ بدءاً من قيادةِ مجموعاتٍ كبيرةٍ من الأشخاصِ، إلى قيادةِ شخصٍ آخرَ لكَ به علاقةٌ. إلاّ أنّه وقبلَ أن تكونَ قادراً على التأثيرِ في الآخرينَ, ثَمّةَ مستوى أساسٌ للقيادةِ ألا وهو القُدرةُ على قيادةِ الذاتِ. ولكي تكتشفَ السِّماتِ الطبيعيةِ الأساسيةِ للقيادةِ, عليك أنْ تتدبَّرَ حالاتِ القيادةِ التي أعجبتْكَ في حياتِكَ.

أيُّ القادةِ يُعجبكَ أكثر؟ وأيّهُم يروقُ لكَ؟

أليس هذا سؤالاً جيّداً؟ فهذا هو السؤالُ الذي أعرضهُ على أيِّ شخصٍ يطمحُ إلى تحسينِ مَهاراتِه في القيادةِ، وتكونُ الإجاباتُ دائماً بمثابةِ النُّورِ له.

قد يَختارُ بعضُ الأشخاصِ أحدَ أعضاءِ أسرتِه، أو أحدَ مُدرِّسيه بالمدرَسةِ، أو أحدَ مُدريه السابقينَ، وقد يَختارُ آخرونَ شخصياتٍ من التاريخِ أو من ثقافتهم الشعبيةِ.

فاسألْ –أخي– نفسَك هذا السؤالَ ودوِّن خمسةَ قادةٍ حفّزوكَ طيلةَ حياتِكَ، مثلَ– كما في الأمثلةِ المعروضةِ أدناه– أشخاصٍ أقرباءَ لكَ، أو أناسٍ مَشهورينَ، أو كليهما معاً.

فإذا حدَّدتَ هؤلاءِ القادةَ الخمسةَ فيكونَ السؤالُ: "لماذا حدَّدتَ هؤلاءِ؟ ولماذا استحقَّ هؤلاءِ الخمسةُ أنْ يكونوا ضِمنَ قائمتِكَ؟

قُم بتدوينِ أيِّ ملحوظاتٍ، واكتبْ عباراتٍ قصيرةً بجانبِ إجاباتِكَ. والآن امكثْ بُرهةً قبلَ قراءةِ أيِّ شيءٍ آخرَ حتى تُسجِّلَ تعليقاتِك أمامَ الأسماءِ التي اخترتَها.

إليك اختياراتِ بعضِ الأشخاصِ:

- قائدٌ لي بالعسكرية؛ لأنَّه آمنَ بي قبل أن أؤمنَ أنا بنفْسي.
- أمِّيَ الحنونَ: لأنّها وجدَت نفسَها وسطَ ظروفٍ أسرية صعبةٍ ولم تُشعِرنا بها.
- مُديريَ السابقَ في الشركةِ؛ لأنّه تجاهلَ أخطائي وساعدَني.
- مُدرِّسةً بالمدرَسةِ؛ لأنّني كنتُ صبيّاً سيئَ الطِّباعِ، ولم تفقدِ الأملَ فيّ مُطلقًا.

أمرٌ مُلفتٌ للنظرِ والاعتبارِ... لن تجدَ أحداً من هؤلاءِ قد وصلَ لموقعِه بالقائمةِ بناءً على النجاحِ الذي حقَّقه هو شخصيًّا, إنّ الاختيارَ دائماً ما يكون مبنيًّا على ماهيَّةِ الأشخاصِ، والكيفيةِ التي وظّفوا بها مهارةً، أو موهبةً لديهم في تحقيقِ نجاحِهم وكيفيةِ تعاملِهم مع بعضِ المواقفِ.

ما قائمتُكَ الخاصَّةُ بكَ؟ ألقِ نظرةً على ملحوظاتِكَ وأسبابِ وجودِ بعضِ الأفرادِ ضِمنَ قائمتِكَ. فالأمرُ الذي حدَّدته أكثرَ في هذا الشخصِ هو سِمَةٌ مُعيَّنةٌ يَمتلكُها هذا الشخصُ، وهي التي جعلتْكَ تنتقي هذا الشخصَ، وقد يختارُ أشخاصٌ مُتعدِّدونَ القائدَ ذاتَه لكنْ لأسبابٍ مُتباينَةٍ.

إليكَ أخي–هداكَ اللهُ ورعاكَ– نَماذجَ بعضِ السِّماتِ التي يَمتلكُها القادةُ العظامُ، والتي ربَّما تختارُها وتكونُ مَحطَّ اهتمامك في القادةِ الذين اخترتَهم:

- الرؤيةُ البعيدةُ المدى،
- الجَسارةُ والمغامرةُ،
- التركيزُ والإنجازُ،
- العزمُ والحزمُ،

- التفاؤلُ والأملُ،
- العاطفةُ الجيّاشةُ،
- الثقةُوالطُّمأنينةُ،
- القدرةُ على الإبداعِ،
- الاستقامةُ والثباتُ،
- التواضعُ والسَّكينةُ،
- تحمُّلُ التَّبعاتِ،
- الإحساسُ بالآخرينَ،
- الشجاعةُ والإقدامُ،
- الإخلاصُ للهِ، ثمَّ للمبدأِ،
- المسؤوليةُ وأداءُ الأمانةِ،
- سَعَةُ الحيلَةِ – الذَّكاءُ والدَّهاءُ –،
- الحنْكَةُ والخبرَةُ والمِرانُ،
- أنْ يتعرَّفَ على مواطنِ الضَّعفِ، ويعملَ على مُعالجَتِها والقضاءِ عليها،
- يكتشفَ نقاطَ القوةِ ويعملَ على تنميتِها،
- أن يتحلَّى بالإنسانيةِ والأخلاقِ الطِّيِّبةِ،
- لا يُميِّزُ بينَ أفرادِ فريقِه، أو المجتمَعِ الذي يتولّى قيادته،
- قُدوةً حسنةً – علميّاً وعمليّاً وسُلوكيّاً –،
- مُستمعٌ جيِّدٌ،
- أنْ يُحسنَ اختيارَ معاونيه ليعملوا لصالحِ مُجتمعِهم.

إنّ حقيقةَ ما نراهُ في غيرِنا هو انعكاسٌ فعليٌ لذواتِنا؛ لذا فإنّ الخبرَ السارَّ هُنا أنَّ سببَ اختيارِنا للقادةِ الخمسةِ في قائمتِنا هو انعكاسٌ فعليٌّ للسِّماتِ التي نَملكُها فعلياً، أو السِّماتِ القياديةِ التي نَطمحُ لها.

فإذا حدَث واخترتَ شخصينِ لأسبابٍ مُتشابهةٍ؛ كأنْ يكونا قد أظهَرا قَدْراً كبيراً من الإخلاصِ؛ فقد تكونُ هذه السِّمَةُ المُهمَّةُ لَدَيكَ هي المعيارَ الذي تضعُه لنفسكَ، وهي السِّمَةُ التي تبحثُ عنها في الآخرينَ.

تأملْ لبضعِ دقائقَ الأشخاصَ الذينَ اخترتَهم، والأهمُّ من ذلكَ تأمَّلِ السِّماتِ التي حدَّدتَها فيهم؛ لأنَّ هذه السِّماتِ هي سِماتُ القيادةِ فيكَ، وهي تُحدِّدُ نوعَ القائدِ الذي ستَكونَه، ونقاطَ القوَّةِ التي تستخدمُها في قيادةِ نفسكَ والآخرينَ.

أختمُ بمَقولةٍ لرَجُلِ الصناعةِ الشهيرش آندورو كارنيجي:

"كُلَّما كبرتُ صرتُ أقلَّ اكْتراثاً بما يقولُه الناسُ"

"وأكثرَ اهتماماً بما يفعلونَ"

والإنسانُ العاقلُ الواعي الحصيفُ يُترجمُ حياتَهُ أعمالاً نبيلةً، وأفعالاً عظيمةً تبقى ذُخْراً لهُ وللأجيالِ القادمةِ.

يتبع في العدد القادم بإذن الله..